مواقف خالدة

محمد عوض

الكتاب: مواقف خالدة

الكاتب: محمد عوض

الطبعة: ٢٠١٨

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٦ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
E-mail: news@apatop.com http://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

عوض ، محمد

مواقف خالدة – محمد عوض – الجيزة – وكالة الصحافة العربية

٩٦ ص ، ١٨ سم

تدمك: ٩٧٨ – ٩٧٧–٤٤٦–٧٠٨–٠

أ. العنوان رقم الإيداع : ٢٠١٨/٤٨٤٤

مواقف خالدة

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقـدمة:

بداية خلق بنو آدم جاءت عقب موقف اتخذه رب العزة عز وجل، مفاده أنه سوف يخلق الإنسان، لكي يكون خليفة له في الأرض ليعمر فيها ويصلح أحوالها، وكان أمره الذي لا يرد، فخلق آدم عليه السلام ثم كان خلق حواء، ليكون التزاوج والتكاثر الذي من شأنه قامت البشرية جمعاء، وتطورت الأمور إلى ما نحن عليه، وكذلك كان نزول أبو البشر آدم عليه السلام إلى الأرض خروجا من الجنة نتاج موقف اتخذه خالف به أمر الله تعالى، فكان الجزاء الخروج من الجنة والنزول إلى الأرض، فالحياة بحق موقف ويجتمع بزوجه بموقف، فيكون الحمل بإرادة الله ومشيئته ويكون خلقه ونزوله إلى الحياة في موقف، فالسعادة نتاج موقف والكآبة والحزن نتاج موقف أيضاً، وكل يعرف من مواقفه في الحياة تجاه ما يتعرض له من أمور حياتية.

إن الإنسان كما وصف رب العزة عز وجل أكرم المخلوقات وأعزها قدراً، بل هو أروع ثمار الحياة وعقلها الواعي وقلبها المشتاق وحسها الفنان وإرادتها الفعالة، يقول تعالى: لقد كرمنا بني آدم وحملناه في البر والبحر"، ومن ثم فالإنسان بكل ما يملكه من قوة وقدرة على

فعل الخيرات موقف، ليس الأمر مجرد إشباع رغبات أو تحرك إستجابة لموقف، إنما هو كذلك إضافة عبقرية خلاقة إلى الحياة، فالإنسان تاريخ يتدفق صاعدا، يعمل ويعاني، ويكتشف ويتخطى ويجدد ويبدع ويثور ويزرع ثم يحصد.

لكن يثار تساؤل هام للغاية في هذا السياق، وهو: ما هي العوامل التي تتفاعل مع بعضها البعض لتنتج في النهاية هذه المواقف؟ ونقول: الموقف نتاج تفاعل في إطار رؤية نامية موحدة بين إدراك الإنسان لهذا الكائن العام، المتدفق في التاريخ الموضوعي، ومن إدراكنا لهذا الكائن الخاص ذي العمق الذاتي والتنوع الخصب الذي يتحرك في التاريخ ويتحرك به التاريخ، تبرز ملامح الإنسان الأصلية، فالحياة لا يمكن أن تكون أبداً نتاجاً لجهود فردية بل لابد من تضافر الجهود لتبدو في غالبها أنها جهود التعاون بين بني الإنسان لتكون الحياة.

التاريخ الإنساني أمر لا يصنعه فرد، إنما يصنعه جموع الإنسانية، ينسجونها ويطورونها وينقلونها إلى مراحلها التاريخية الصاعدة، فالأمر برمته نتاج عدد من المواقف التي اتحدت وتفاعلت في مجموعها لتكون الحياة الإنسانية المعاشة ، وهذه المواقف تكون في هيئة أعمال تتنوع في شكلها فهي معاناة وتضحيات وتغليب للإرادات على بعضها البعض، ومن عظم أثر هذا الفعل الذي ينطوي في الغالب على تضحيات ومعاناة يكون تميز الفرد، فكلما كان الموقف جاداً خالداً كان التميز، رغم أنه من الممكن أن يظل هذا المتميز مطمور الاسم بين الناس، إلا أن فعله يظل شادها على عظمته.

"مواقف خالدة" محاولة للاقتراب من هذه النماذج الخالدة من المواقف التي ساهمت بفاعلية في صناعة التاريخ، فالبشرية منذ بدء الخليقة تحفل بالكثير من الأسماء المتميزة اللامعة، إلا أنه لا يكاد يضم منها إلا باقة محدودة على كثرتها ، فالأبطال كثيرون لدرجة لا يمكن معها حصرهم في ملايين الصفحات، إلا أنه هناك من قدر التاريخ عظم موقفهم وشملهم ببعض الاهتمام، فكانوا أصحاب مواقف خالدة، لهم باع في تشكيل مجرى الحضارة الإنسانية.

المؤلف

البيـع الرابـح

عنـدما أراد الرسـول "ﷺ" الهجـرة إلـى المدينـة علـم صـهيب ابن سنان المعروف بصـهيب الرومي بهـا، وكـان المفـروض أن يكـن ثالـث ثلاثـة هـم الرسـول "صـلى الله عليـه وسـلم" وأبـو بكـر وصـهيب في أيـديهم فمنـع مـن الهجـرة بعـض الوقـت بينمـا كـان الرسـول وأبـو بكـر قـد خرجـا سـراً إلـى المدينـة في رعايـة الله سـبحانه وتعـالى، واستطاع صهيب أن يفلت من قريش وانطلق فوق ناقته يقطع الصـحراء، ولكـن قريشاً علمت بخروجه فأرسلت في أثـره قناصـتها فـأدركوه، فنظـر إلـيهم صـهيب وصـاح فيهم قائلاً:

يـا معشـر قـريش تعلمـون أنـي مـن أرمـاكم "أحسـنكم رميـاً بالسهام" ووالله لا تصـلون إلي حتى أرميكم بكـل سـهم معي ثم أضـر بكم بسيفي ما بقى في يدي منه شيء، فإن كنتم مـالي دللتكم عليـه، وتتركوني وشأني" قالوا:

فـدلنا علـى مالـك ونخلـي عنـك، فتعاهـدوا علـى ذلـك فـدلهم على المكان الذي خبأ فيه ثروته وتركوه وشأنه".

والغريب في ذلك أنهم صدقوه بل ولم يستحلفوه على صدقه وهذا الموقف يدل عظمة صهيب، فما كان لصهيب السابق للإسلام أن يكذب، فإن المسلم لا يكذب، وما كان له أن يبخل بماله في سبيل النجاة بدينه، والهجرة إلى الله ورسوله، لأنه يعلم أن المال مال الله، فترك ثروته كلها لأعداء الإسلام، من أجل أن يخلوا بينه وبين هجرته وأكمل صهيب رحلته مهاجراً سعيداً حتى أدرك الرسول "ﷺ" في قباء، وقد نزل جبريل على النبي "ﷺ" بقول الله عز وجل في شأن صهيب وما حدث منه: (ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد).

ولما دخل صهيب على الرسول "ﷺ" وهو جالس مع أصحابه لم يكد الرسول يراه حتى ناداه متهللاً:"ربح البيع أبا يحيي.. ربح البيع أبا يحيي "نعم يا سيدي يا رسول الله لقد ربح بيع صهيب وأي ربح لقد فاز فوزاً عظيماً، إذ باع دنياه التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة بآخرته فالمال والذهب كنوز الدنيا لا تساوي عند نفس صهيب المؤمنة شيئاً إذا ترك لها إيمانها.. ورضي الله عنك يا صهيب وضاعف لك في أجرك في دار الآخرة.

بيعة العقبة وانطلاق الإسلام

كانت الأوس والخزرج قبيلتين تعيشان في "المدينة" وتنحدران من أصل واحد ولكن الحرب اندلعت بينهما واستمرت سنوات عديدة حتى أن قبيلة الخزرج تعاهدت مع يهود "المدينة" ليصبحوا عوناً لها في قتال أبناء عمومتهم من الأوس.

وإزاء ذلك خرج زعماء "الأوس من المدينة" قاصدين "مكة" علهم يجدون في قريش وغيرها من القبائل العربية حليفاً لهم.. وكان الرسول "ﷺ" لا يترك إجتماعاً يجتمع دون أن يذهب إليه ويعرض دعوته إلى الإسلام والتقى بوفد " الأوس" وكان على رأسهم "إياس بن معاذ" وأبو الحسير وقال لهم الرسول "ﷺ" هل من خير مما جئتم له؟ فتساءلوا عن ذلك الخير .. فأخذ يشرح لهم دعوته وأنه رسول الله إلى الناس وقرأ عليهم بعض آيات القرآن، ويهتف "إياس بن معاذ" وكان صغير السن في ذلك الوقت، أي قوم، هذا والله خير مما جئتم له ولكن أبو الحسير أمسك بحفنة من التراب وقذف بها في وجه "إياس" قائلاً:

لعمري لقد جئنا لغير هذا.. وأنفض الجمع وفي العالم التالي حضر إلى مكة بعض رجال "الخزرج" فلقيهم الرسول الكريم وتعرف بهم وجلس إليهم يحدثهم عن الإسلام ويدعوهم إليه وقرأ عليهم آيات من كتاب الله.

فقال بعض منهم للآخرين "والله أنه للنبي الذي تعدكم به اليهود فلا يستبقونكم إليه" فأجوبوه لما دعا إليه وقبلوا من عرضه عليهم من الإسلام ولكنهم قالوا له.. إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك.. فستقدم عليهم فتدعوهم إلى أمرك تعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليه، فلا رجل أعز منك.

وانصروا عائدين إلى المدينة ودعوا قومه إلى الإسلام فلقي في نفوسهم ترحيباً حتى أنه لم تبق هناك دار واحدة لا يذكر فيها اسم الله ورسوله من دور الأنصار، وفي العام التالي وفد إلى رسول اثنا عشر رجلاً اثنان من الأوس وعشرة من الخزرج وأعلنوا إسلامهم ومد الرسول يده الكريمة ليبعتهم فبايعوه وعاهدوه على ألا يشركوا بالله شيئاً.

وكان "ﷺ" قد أمر مصعب بن عمير أن يصحبهم في عودتهم إلى المدينة ليفقههم في أمور الدين .. وما كاد عام آخر حتى ود إلى

مكة سبعون رجلاً وامرأتين من الأوس والخزرج وعلم الرسول "ﷺ" بقدومهم فواعدهم العقبة..

وكان قد أمرهم أن يكتموا خبرهم عن قريش.

ولما كان الموعد وفد إليهم الرسول "ﷺ" ومعه عمه العباس وابتدء العباس القوم قائلاً: يا معشر الخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم فهو في عزة من قومه ومتعة في بلده وأنه أبي إلا الانياز لكم واللحاق بكم فإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخزرج فمن الآن فدعوه.. بما له من عزة ومتعة من قومه وبلده.

فقالوا له: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله.. فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.. فتحدث المصطفى ودعا الله وتلا آيات القرآن ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.. فأجابه "البراء بن معرور" والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه ذرارنيا فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب ورثناها كابراً عن كابر، وعاد العباس مرة آخرى يقول: أيها القوم هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا نعم، فقال إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وذهبت أشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة إن كنتم ترون أنكم وافون له فوالله لهو خير الدنيا والآخرة.

فقالوا فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله؟ فقال الجنة.. قالوا:

أبسط يدك نبايعك وبايعوه وكانت بيعة العقبة..

هنا قال "أبو الهيثم" يا رسول الله إن بيننا وبين اليهود حبالاً وإنا قاطعوها ولكنا نخشى إن أظهرك الله أن ترجع إلى قوك وتدعنا فبتسم الرسول وقال: بل الدم الدم والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .. وكان هذا الموقف هو بداية انطلاق الإسلام بقوة خارج مكة هذا الانطلاق الذي أعز الله به الإسلام والمسلمين بعد هجرة الرسول إلى المدينة.

رفق الإمام

مر عمر بن الخطاب ﷺ بباب قوم وعليه سائل يسأل، وكان السائل شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عمر عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال عمر: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله وأعطاه شيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: أنظر هذا وأمثاله فوالله ما أنصفناه، إن أكلنا شبيبته ثم نخذ له عند الكبر، "إنما الصدقات للفقراء والمساكين" والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب، وضع عنه الجزية وعن أمثاله.

إن الذي يتأمل هذا الموقف الناطق بالحق، النابض بالعدل يجد أن مد الأيدي للناس بالسؤال أمراً كان مستنكراً وغريباً في المجتمع الإسلامي في عهد عمر، بحيث لفت صنيع هذا الرجل نظره، إن كفالة الدولة الإسلامية لرعاياها لم تكن مقصورة على المسلمين، بل تشمل جميع أهل الذمة ولو كانوا يهوداً.

ما أعظم الإسلام.. إن عمر بن الخطاب لم يكتف بما أعطاه من ماله الخاص، ولم يأمر له بمنحة عاجلة ثم يدعه لعجز الشيخوخة وقسوة الفقر، ولكنه أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه، ومعنى هذا أنه فرض له مساعدة اجتماعية دورية تصلحه وتكفيه، ونلاحظ هنا أن عمر لم يجعل هذه المساعدة استثناءاً خاصاً لهذا العجوز، ولكنه قررها مبدءاً عاما يشمله ويشمل كل من يشابهه من أهل الحاجة من غير المسلمين.

إن عمر لم يفعل ذلك ابتداعاً أو ابتكاراً من عند نفسه، ولكنه رد ذلك إلى كتاب الله الذي أوجب الصدقات للفقراء والمساكين، ما أعظم الدولة الإسلامية حينما تكفل رعايتها للمسلمين ولغير المسلمين، حقاً إنها عظمة الإسلام وفي دولة الإسلام – يرحمك الله يا عمر – لقد أرسيت مبدأ من أهم مبادئ حقوق الإنسان في الحياة الكريمة التي تكفل له عدم التسول، وكما يدفع الإنسان في شبابه وهو قادر على العطاء تكفله الدولة التي أخذت منه وقت حين كان قادراً على العطاء، أن تعطيه وقت حين أصبح غير قادر على الكسب، وهكذا كانت الدولة الإسلامية تمد يد العون لكل محتاج وإن لم يطلب معونتها.

معركة حنين ودرس لا ينسى

ما كاد الرسول الكريم يدخل مكة فاتحاً في العام الثامن للهجرة حتى علم أن زعماء قبيلتي هوازن وثقيف قد حشدوا له قبائل نصروا جشم وبني هلال ويستعدون للخروج لقتاله..

فأمر "ﷺ" أصحابه ألا يلقوا سلاحهم أو يريحوا أبدانهم حتى يلقوا مالك بن عوف زعيم هوازن وجيوشه، وخرج الرسول في صحبة من المسلمين في جيش كبير ما كانت العرب قد رأته بعد، إذ بلغ عدده إثنا عشر ألفاً حتى أن المسلمين كانوا على ثقة من النصر، وفي الوادي المعروف بوادي "حنين" والذي لم يكن يتسع لحركة جيش المسلمين الكثير العدد أطلق المشركون عليهم السهام من كل جانب حيث كانت لهم كمائن حصينة على قمم الجبال، وارتبك جيش المسلمين لاذت بالفرار.. وفي هذه اللحظة الحرجة يتقدم الرسول بكل شجاعة وجسارة وحوله أبو بكر وعمرو رضي الله عنه ويهتف "هلموا إليّ أيها الناس أنا النبي لا كذب.. أنا بن عبد المطلب"، ويأمر الرسول عمه العباس صاحب الصوت العالي الجهوري أن ينادي على المسلمين ويحثهم على القتال..

فإذا بالعباس يصرخ يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة هذا رسول الله يدعوكم ويستنصر بكم على عدوكم.. ويجيب الأنصار لبيك يا رسول الله لبيك، فيعلوا صوتهم على بعض الأصوات التي بدأت تستسلم للهزيمة وكان إيمانها لم يكتمل بعد مثل أبي سفيان الذي يقول إن هزيمتهم لا تنتهي إلا إلى البحر، وكذلك "كلدة بن حنبل" الذي وقف يهتف الآن قد بطل السحر .. وبدأ المسلمون بعد أن سمعوا صوت الرسول الكريم وعمه العباس يعيدون تنظيم صفوفهم وإعادة الكر وعادت الفصائل التي كانت قد لاذت بالفرار مرة أخرى، واشتعل القتال والرسول من حوله أبو بكر وعمر وعثمان يكبرون ويكبر معهم كل جنود المسلمين حتى تحقق النصر، وفر جمع ثقيف وهوازن وتعقبهم المسلمون حتى حاصروهم في الطائف حتى جاء مالك بن عوف إلى الرسول مسلماً وكان قد أسلم عددُ كبير من قومه.

وقد خلّد الله سبحانه وتعالى هذا الموقف الذي تعرض له المسلمون من الهزيمة إلى النصر في قوله تعالى (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها).

الإسلام يجب ما قبله

ثمامة بن أثال سيد من سادات بني خنيفة المرموقين، وملك من مولك اليمامة الذي لا يعصي لهم أمر .. وعندما كان ثمامة في طريقه قريباً من المدينة وقع في أسر سرية من سرايا رسول الله "ﷺ"، كانت تطوف خلال الديار خوفاً من أن يطرق المدينة طارق، أو يريدها معتد بشر، وكانت السرية لا تعرف ثمامة وأنت به إلى المدينة، وشدته إلى سارية من سواري المسجد، منتظرة أن يقف الرسول "ﷺ" بنفسه على شأن الأسير، وأن يأمر فيه بأمره.

لما خرج الرسول "ﷺ" إلى المسجد وهم بالدخول فيه رأى ثمامة مربوطاً في السارية، فقال لأصحابه: أترون من أخذتم؟ فقالوا : لا يارسول الله فقا: هذا ثمامة بن أثال الحنفي، فأحسنوا معاملته ثم رجع الرسول إلى أهله وقال:

أجمعوا ما كان عندكم من طعام وابعثوا به إلى ثمامة بن آثال، ثم أمر بناقته أن تحلب له في الغدوو الرواح، وأن يقدم إليه لبنها.

وقد تم كل ذلك قبل أن يلقاه الرسول "ﷺ" أو يكلمه ، ثم أقبل الرسول "ﷺ" على ثمامة يريد أن يستدرجه إلى الإسلام وقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال:

عندي يا محمد تقتل تقتل ذا دم – وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال، فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله "ﷺ" يومين على حاله، يؤتي له الطعام والشراب ويجعل إليه لبن الناقة ثم جاءه، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ليس عندي إلا ما قلت لك من قبل، إن تنعم على شاكر.. وإن تقتل تقتل ذا دم.. وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.. فتركه رسول الله "ﷺ" حتى إذا كان اليوم التالي جاءه فقال: ما عندك يا ثمامة؟ عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر.. وإن تقتل تقتل ذا دم.. وإن كنت تريد المال أعطيتك منه ما تشاء.. فالتفت الرسول "ﷺ" إلى أصحابه وقال: أطلقوا ثمامة، ففكوا وثاقه وأطلقوه.

غادر ثمامة مسجد رسول الله "ﷺ" مضى حتى إذا بلغ نخلاً في أطراف المدينة.. قريباً من البقيع، فيه ماء أناخ راحلته عنده، وتطهر من مائه فأحسن طهوره، ثم عاد أدراجه إلى المسجد.

الثلاثة الذي خلفوا !

بينما المسلمون في ضيق من الرزق وتعب من الحر . . إذا برسول "ﷺ" يدعوهم للجهاد في "تبوك" فأقبل بعضهم على بعض يتساءل.. ما بال رسول"ﷺ" يدعونا للجهاد في هذا الوقت شديد القيظ قليل المال..

ولكن بمجرد أن علموا أن رسول "ﷺ" يتهيأ ليصد بني الأصفر الذين أعادوا عدتهم وحشدوا جيوشهم لغزوا المسلمين إلا وكانوا قد لبوا نداء الجهاد، ولكن لأن الدعوة للجهاد في وقت يضيق فيه الرزق ويشتد فيه الحر تتلقاها النفوس بحسب ما قدر لها من الهداية، وبقدر ما بها من إيمان ويقين وطاعة.. ولكن ما إن دعا الرسول إلى التجهيز إلا وتطوع المسلمون من أصحاب النفوس المؤمنة بأموالهم وأنفسهم.. وظهر بعض المنافقين وتخلف البعض عن الخروج مع الرسول الكريم وكان عدد هؤلاء المتخلفين أربعة هم أبو خيمثة أخو بني سالم بن عوف،وكعب بن مالك، ومرادة بن الربيع، وهلال بن مرة. وبينما رسول الله يسير إلى الجهاد.. يذهب أبو خيمثة إلى أهله فوجد امرأتيه في عريشين لهما في حائطه، وقد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيها ماءاً وأعدت طعاماً، فلما دخل عليهما وجد الشراب البارد واللحم الشهي والظل الوارف

والنسيم العليل وامرأتين تتهيآن لخدمته وتلبية مطالبه، تذكر على الفور رسول الله "ﷺ" وصحبه وهم يسيرون في الحر وربما لا يجدون الماء أو الطعام ويتحملون مشقة الجهاد راغبين في الفوز بطاعة الله ونصره.

واستشعر أبو خيمثة الفرق بين ما هو فيه وبين ما عليه، الرسول الكريم وصحبه فهب واقفاً وأعلن الحرب على نفسه والكيد لهواه وهو يقول: رسول الله في الضح والريح وأبو خيمثة في ظل بارد وطعام مهيأ وإمرأة حسناء وهو في ماله مقيم! ماهذا بالنصف، ثم قال لامرأتيه والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى الحق برسول الله، ثم هيأ راحلته وطعامه وانطلق خلف الرسول يسرع في سيره حتى لحق به وشارك معه في جهاده.

وبذلك نجا أبو خيمثة بنفسه من الهوان الذي لحق بالثلاثة الآخرين كعب ومرادة وهلال، وحين عاد الرسول الكريم واعترفوا له بأنهم قعدوا عن الجهاد بلا عذر، ونهى الرسول عن أن يختلط بهم الناس حتى يفصل الله في أمرهم حتى ضاقت الأرض عليهم بما وسعت إلى أن رحمهم الله سبحانه وتعالى من العذاب حين أنزل قوله تعالى:

"وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم".

الخطأ الجسيم

عندما عزم الرسول "ﷺ" فتح مكة أخذ بكل الأسباب، وجعل الأمر في سرية تامة بين أصحابه، ولكن حاطب بن أبي بلتعة وهو من الصحابة الذين شهدوا غزوة بدر كتب إلى قريش رسالة: "إن رسول الله قد أذن في الناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببت أن يكون لي عندكم يد بكتابي إليكم.. إلخ"

وأتى خبر الرسالة من السماء بما صنع حاطب، وضبط كتاب حاطب في الطريق حيث كانت تحمله امراة من مزينة، وجيء بالكتاب إلى رسول الله "ﷺ" فدعا حاطب فقال: "ما الذي حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله، والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرءاً ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد فصانعتهم"، هنا ثارت ثائرة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه"، فصاح في وجه حاطب – قالتلك الله – ترى رسول الله يأخذ بالأسباب، وتكتب إلى قريش تحذرهم، دعني يا رسول الله أضرب عنقه فإنه قد نافق نافق، فقال الرسول "ﷺ" في

هدوء وسكينة: وما يدريك يا عمر لعل الله أطلع يوم بدر على أهل بدر، فقال أعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم".

وبعد ذلك نزلت الآيات الأولى من سورة الممتحنة بشأن قصة حاطب بن بلتعة فيها عتاب، وفيها توجيه وفيها تربية سامية لا لحاطب وجيله فقط بل لكل الأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن هذا الموقف يعطينا صورة رائعة ليس لها مثال من حكمة وعظمة الرسول "ﷺ" في أسلوبه وطريقته المثلى في معاملة أصحابه، فقد التمس العذر لصحابي كبير جليل له ماضٍ في الجهاد في أول خطأ يصدر منه بحسن نية، رغم أن هذا الخطأ ليس خطأ هين أو بسيط، ولكنه خطأ كبير وجسيم لأنه في ظروف حرب مصيرية بين المسلمين والمشركين، وإن هذا الخطأ كاد أن يتسبب في فشل خطة حربية أعدها الرسول "ﷺ" في سرية تامة، ولولا أن الله قد كشف ما فعله حاطب بن بلتعة قبل أن تصل رسالته إلى مكة لكانت هذه الرسالة وضعت الرسول "ﷺ" وأصحابه في مأزق، ولكن الرسول "ﷺ" بأخلاقه الكريمة يلتمس العذر لهذا الصحابي وينصحه برفق ولين، فنعم القائد والمعلم أنت يا سيدي يا رسول الله.

الزهد والايثار عند أمير المؤمنين

بعد موت الرسول "ﷺ" وفي وسط الأحداث التي تموج بها مكة، اجتمع عدد كبير من الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا "سعد بن عبادة" وهو من الأنصار، ويذهب الخبر إلى أبي بكر الصديق، فيذهب إلى سقيفة بني ساعدة ومعه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، وهناك كان موقف الطائفية يطفو على السطح بل يرتفع، فوقف الأنصار ينادوا أن تكون الخلافة منهم، ووقف المهاجرون ينادوا أن تكون الخلافة منهم، موقف عصيب للأمة التي لم تتفرق من قبل في عهد الرسول "ﷺ" تكاد اليوم أن تتمزق وتنقسم وتظهر فيها الطائفية.

فلابد من رجل قوي شجاع ذكي يكبح جماح الفرقة ويجمع الناس على الحق، فهل هناك غير أبي بكر لهذا الموقف؟ ووقف أبو بكر يتحدث بكلمات قليلة ولكنها كانت دستوراً.. يا معشر الأنصار: إنكم لا تذكرون فضلاً إلا وأنتم له أهل بدأ بهذه العبارة ليهدئ من حدة الأنصار، ثم مضى يدلي برأيه فيمن يرشح للخلافة، إنه واحد من اثنين عمر بن الخطاب الرجل الذي أعز الله الإسلام به

أو أبو عبيدة بن الجراح الذي وصفه الرسول "ﷺ" بأنه أمين هذه الأمة، واقترب منهما أبو بكر الصديق وتوسطهما ورفع ذراعيهما بكلتا يديه، وقال للناس:

"لقد رضيت أحد هذين الرجلين عمر بن الخطاب، وأبي عبيدة بن الجراح".

يا له من موقف ويالها من شجاعة، وارتعدت يد عمر كأنما سقطت عليها جمرة ملتهبة، وغض "أبو عبيدة" عينيه الباكيتين في حياء شديد، وصاح عمر بأعلى صوته والله لأن أقدم فيضرب عنقي في غير إثم أحب إلي من أن آؤمر على قوم فيهم أبو بكر.

وتقدم عمر باسطاً يمينه مبايعاً أبا بكر، وازدحم الناس يبايعون أبو بكر الصديق خليفة للمسلمين، بهذه البيعة انتهت الفرقة بين صفوف المسلمين وظهرت وحدة الصف.

وعندما نحلل هذا الموقف نجد أن أبا بكر لم يسع للحكم أو الخلافة، ولكن الخلافة هي التي سعت إليه، فالرجل لم يطلب الخلافة لنفسه رغم أن أفضل المسلمين جميعاً، فهو ثاني اثنين، وهو الصديق الذي أم المسلمين في الصلاة في مرض الرسول "ﷺ"، وهو الذي قال عنه رسول الله: لو وضع إيمان أبو بكر في كفة وإيمان الأمة في كفة لرجحت كفة أبي بكر، ومع ذلك رشح عمر بن

الخطاب أو أبو عبيدة بن الجراح للخلافة ولم يرشح نفسه إنه الزهد والايثار.

ونجد موقف عمر بن الخطاب موقف شامخ لا يمكن أن يقفه إلا عمر، فيرفض أن يأمر على قوم فيهم أبي بكر لمعرفته بمكانة أبي بكر، وعندما بايع أبو بكر كان له شرف السبق في المبايعة، حقاً إنها عظمة من تربوا في المدرسة المحمدية وعلى يد معلم البشرية الأول محمد بن عبد الله.

الصبر على الأذى

لقد كان خباب بن الأرت من أشراف العرب وأصابه سبي في الجاهلية، واشترته امرأة تدعى أم أنمار، وكان صانعاً للسيوف والدروع وكان له كير يحمي فيه الحديد، ولما علمت أم أنمار بإسلامه كانت تحمي الحديد في الكير ثم تكوي به رأسه لتجبره على الكفر، فيأبى إلا الثبات على الإيمان ودين الحق وكلما رأت منه الثبات والإصرار، زادت من عذابه فذهب خباب إلى الكعبة يوماً فوجد رسول الله "ﷺ" متكئاً على بردة له في ظل الكعبة فقال له:

يا رسول الله ألا تستنصر لنا، فجلس الرسول "ﷺ" وقد أحمر وجهه وقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يجاء بالمنشار فيجعل فوق رأسه ما يصرفه عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب صنعاء إلى حضر موت لا يخشى إلا الله عز وجل، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون.. ويصبر خباب على الأذى الذي زاد عن حد الاحتمال، فقد كان المشركون يذهبون إلى أم أنمار يحمون الحجارة في الكير حتي

تحمر، ثم يفرشون الأرض بها، ويجرجرون خباباً عليها، فما يطفئها إلا لحم ظهره وشحمه ويمر رسول الله "صلى الله عليه وسلم" عليه يوماً فيجده وقد أوثقته أم أنمار بالسلاسل، ووقفت على رأسه تكويه بالحديد المحمي وهو يقول: لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.

فطار قلبه رحمة وحناناً وأسى ولكن ماذا يملك الرسول "ﷺ" في هذا اليوم لخباب؟ لا شيء سوى أن يثبته على دينه ويدعو له ويرفع الرسول "ﷺ" كفيه إلى السماء ويقول: اللهم انصر خباباً، دعاء لله وليس بينه وبين الله حجاب، ويشاء الله ألا تمضي أيام قليلات حتى ينزل بأم أنمار قصاص عاجل من قبل الحق عز وجل، ذلك أنها أصيبت بسعار عصيب وغريب جعلها تعوي مثل الكلاب، وقيل لها يومئذ: لا علاج لها سوى أن يكوي رأسها بالنار، وهكذا شهد رأسها العنيد سطوة الحديد المحمي يصبحه ويمسيه، وتذهب أم أنمار بنفسها وبمحض إرادتها إلى خباب، وتطلب منه أن يحمي الحديد ويكويها في رأسها كما كانت تكويه.

ما أعظم قدرة الله سبحانه وتعالى أن يُمهل ولا يُهمل.. لقد كانت قريش تقاوم الإيمان بالعذاب، وكان المؤمنون يقاومون العذاب بالتضحية والفداء، وكان خباب ابن الأرت واحداً من أولئك الذين أصبحوا أساتذة في فن التضحية والفداء.

الصحابي الجليل والوصية

عندما هاجر المسلمون إلى المدينة آخى الرسول "ﷺ" بين المهاجرين والأنصار، وقد آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فقال له سعد:

إن لي مالاً فهو بيني وبينك شطران، ولي امرأتان فانظر أيتهما أعجبتك حتى أخلعها فإذا حلت تزوجتها، قال له عبد الرحمن بن عوف أن يقاسم أخاً له في الإسلام في ماله وأهله، ويقول أنني تاجر أجيد التجارة فدلوني على السوق لأعمل وأتاجر وأكسب رزقي من عملي، هكذا ضرب مثلاً لشخصية المسلم الحق، ويعلم الرسول "ﷺ" بموقف عبد الرحمن بن عوف فيسر لذلك، ويدعو له بالبركة التي تحل عليه ويتسع رزقه ويكثر ماله حتى يقول هو عن نفسه: "والله لقد رأيتني إن رفعت حجراً وجدت تحته ذهباً أو فضة".. وببركة دعاء الرسول يصبح عبد الرحمن بن عوف من أغنى الأغنياء، فيقول له الرسول "ﷺ" يا بن عوف، إنك من الأغنياء وإنك تدخل الجنة حبواً، فأقرض الله يطلق لك قدميك، وما إن سمع عبد الرحمن بن عوف هذه الوصية حتى يعمل بها طوال حياته.

وفي يوم تأتي قافلة مكونة من سبعمائة راحلة محملة، ويخرج الناس ليشاهدوا هذه القافلة وليتسبشروا بما تحمله من خير ورزق، وعندما شاهدت أم المؤمنين عائشة هذه القافلة هزت رأسها قالت:

أما إني سمعت رسول الله "ﷺ" يقول: رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً، ونقل بعض أصحابه مقالة عائشة إليه فتذكر أنه سمع من النبي "ﷺ" هذا الحديث أكثر من مرة، وذهب عبد الرحمن إلى بيت عائشة وقال لها: لقد ذكرتني بحديث لم أنساه، ثم قال: أما إني أشهدك أن هذه القافلة بأحمالها وأقتابها وأحمالها في سبيل الله عز وجل، ووزعت القافلة على أهل المدينة وما حولها في مهرجان بر وخير عظيم.

هذا الموقف وحده يمثل صورة كاملة للصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف، لقد كان عبد الرحمن بن عوف نموذجاً للتاجر الأمين فكانت تجارته كلها حلال.. وعاش عبد الرحمن منفقاً في سبيل الله لا يخشى الفقر، حتى قال الناس كان أهل المدينة شركاء لابن عوف في ماله، فالثلث يقرضهم "وكلما زاد في الانفاق زادت ثروته وزاد خوفه لأنه كان يخشى أن يكون الله عجل له بالمطيبات في الدنيا رغم أنه من العشرة المبشرين بالجنة، وكلما زاد خوفه زاد إنفاقه في سبيل الله".

وينفق عبد الرحمن بن عوف ويوصي بخمسين ألف دينار، وألف فرس في سبيل الله بل ويوصي لمن بقى من أهل بدر وكانوا مائة بأربعمائة دينار لكل واحد منهم، ويُصر عثمان بن عفان وكان ثرياً على أخذ نصيبه قائلاً: مال ابن عوف صفو حلال والطعمة منه عافية وبركة، ومع كل هذا فقد ترك ذهباً تعبت أيدي الرجال من تقطيعه، نعم كان ابن عوف كلما أنفق كلما زادت أمواله "قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقهم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين".. ولقد وعد الله عز وجل عبد الرحمن بن عوف وأمثاله في كتابه الكريم: "الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون".

..سلام عليك يا عبد الرحمن عوف في عليين..

أمير المؤمنين يعيش على الكفاف

يقول عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة: صحبت عمر بن الخطاب من المدينة إلى مكة في الحج، ثم رجعنا، فما ضرب له فسطاط ولا خباء ولا كان له بناء يستظل، إنما يلقي كساء على شجرة فيستظل تحته، ويقول بشار بن نمير: سألني عمر: كم أنفقنا في حجتنا هذه: فقلت: خمسة عشر ديناراً، فقال عمر: لقد أسرفنا في هذا المال.

إنها قمة الزهد والتقوى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الذي وشعت في خزائن بيت مال المسلمين في عهده أموال كسرى وقيصر يخرج لأداء فريضة الحج وسط صحراء ملتهبة فلا يعد لنفسه من ضرورات الرحلة شيئاً، هكذا كان عمر بن الخطاب مثله مثل عامة الناس، بل كان يختلف عنهم كثيراً في شدة الزهد ينفق خلال رحلته كلها خمسة عشر ديناراً، ثم يقول لقد أسرفنا – يرحمك الله يا عمر– لقد كان عمر بن الخطاب تاجراً من الحلال ما يجعله يعيش هو وأسرته في رغد، فلما تفرغ لمهمته الجديدة فرض لنفسه من بيت المال ما يعيش به هو وعائلته في مستوى الكفاف.. وكان كلما هب الرخاء رفع رواتب جميع المسلمين في المدينة وخارجها، ولكنه

لا يفكر في أن يزيد نفسه درهماً، وقد علم أصحابه أنه يعيش في ضيق وهو أمير المؤمنين، فاجتمع نفر من الصحابة معهم عثمان وعلي وطلحة والزبير واتفقوا على أن يتحدثوا مع عمر ويطلبوا منه أن يزيد في راتبه، لكنهم عادوا وتيهيبوا محادثته لأنهم يعرفون أنه في هذه المسألة بالذات شديد الغضب.

قال عثمان بن عفان فلنستبري، ما عنده دون أن يعلم واتجهوا إلى حفصة بنت عمر واستكتموها أمرهم، وطلبوا منها أن تستطلع أمر أبيها، وذهبت حفصة إلى عمر متهيبة وأخذت تسوق الحديث بحذر شديد، فقال عمر: من بعثك إلي بهذا الحديث؟.. قالت لا أحد، قال: بلى بعثك بهذا قوم لو عرفتهم لحاسبتهم، ثم قال لابنته: لقد كنت زوجة لرسول الله "ﷺ" فماذا كان يقتني في بيتك من الملبس؟ قالت: ثوبين اثنين. قال :فما أطيب أطعمة رأيته يأكلها؟ قالت: خبز شعير طري مشرود بالسمن، قال: فما أوطأ فراش كان له في بيتك قالت: كساء بسطنا نصه وتدثرنا بنصفه.. قال: يا حفصة فأبلغي الذين أرسلوك إلي إن مثلي ومثل صاحبي الرسول "ﷺ" وأبي بكر كثلاثة سلكوا طريقاً فمضى الأول وقد تزود فبلغ المنزل – ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه، ثم الثالث فإن لزم طريقهما ورضى بزادهما ألحق بهما، أن سلك غير طريقهما لم يجتمع بهما.

نعم يا عمر لقد سلكت طريق الرسول "ﷺ" وطريق أبي بكر وما غيـرت الطريـق فكـان حقـاً علـى الله أن يلحقـك بهمـا هـذا الموقـف المهيب، الذي إذا دل على شيء فإنما يدل على شدة الورع والتقوى والزهد والتمسك بنهج الرسول "ﷺ" ومراقبة الله في كل التصرفات.

أمين الأمة

عندما جاء وفد نجران لرسول الله "ﷺ" يطلبون معلماً وقاضياً، قال لهم: لأبعثن معكم غداً رجلاً: حق أمين، حق أمين، وتطاول أصحاب الرسول "ﷺ" لهذا الشرف كل منهم يتمنى أن يكون هذا الرجل، حتى أن عمر بن الخطاب يقول: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها في ذلك اليوم، وبات الكل يمني نفسه، حتى أصبح الصباح وجاء الرسول "ﷺ" يقول: أين أبو عبيدة بن الجراح؟ قال ها أنذا يا رسول الله، قال:

يا أبا عبيدة أذهب معهم وأقض بينهم.. لكل أمة أمين، وأن أميننا أبو عبيدة بن الجراح، هكذا وقع اختيار الرسول "ﷺ" على أبي عبيدة بن الجراح ليكون أمين هذه الأمة لأنه منذ أن أعلن إسلامه وبايع الرسول "ﷺ" وهو يبذل كل غال ونفيس في سبيل الله.

ولأبي عبيدة بن الجراح موقفاً لا يمكن أن ينسى في غزوة أحد، لقد كان يقاتل المشركين بسيفه وعيناه على رسول الله لأنه كان يخاف عليه خوفاً شديداً، ويقول أبو بكر الصديق، ﷺ: حينما أصيب الرسول "ﷺ" في غزوة أحد أسرعت إليه فرأيت إنساناً يأتي من قبل المشرق يكاد يطير طيراناً، فنظرت إليه وقلت: اللهم اجعله طاعة، فالتقينا عند رسول الله "ﷺ" وقد سبقني إليه فإذا هو أبو

عبيدة بن الجراح، يريد أن يفدي رسول الله "ﷺ" بنفسه ويحميه بجسده.. وقد سالت الدماء على وجه الرسول "ﷺ" وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله وإذا بحلقتين من حلقات المغفر قد دخلتا في وجنته "ﷺ" من شدة الضربة، فقال لي أبو عبيدة: أنشدك الله يا أبا بكر، دعني أنزع الحلقات من وجنة رسول الله "ﷺ" فتركته، فأخذ أول حلقة بأسنانه لينزعها فنزعها وسقط على الأرض وقد سقطت ثنيته، ثم أخذ الحلقة الثانية فنزعها وسقطت ثنيته الثانية فصار أهتماً.. وما رأيت رجلاً زاده الهتم حسناً إلا ذلك الرجل.

هكذا كان أبو عبيدة بن الجراح، فدائي في سبيل الله يدافع عن الإسلام بكل ما يملك، ويدافع عن رسوله بأغلى شيء، ولأبي عبيدة بن الجراح موقف آخر يشع بالنور، عندما رأى عمر بن الخطاب أن الناس كادت أن تفتن بخالد بن الوليد لكثرة انتصاراته، فأرسل خطاباً لأبي عبيدة بن الجراح وكان أميراً في جيش خالد، يوليه قيادة الجيوش ويعينه أميراً للأمراء حتى يعلم الناس أن النصر من عند الله، ويكتم أبو عبيدة ابن الجراح الخبر عن الجميع ويقاتل تحت إمرة خالد بن الوليد حتى ينتهي الحصار بالنصر، ثم يذهب إليه في تواضع وأدب جم ويقدم له خطاب أمير المؤمنين، ويقرأ خالد الأمر بعزله وتولية أبي عبيدة فيقول له – يرحمك الله – ما منعك أن تخبرني بالكتاب إذا جاءك؟ قال: يا خالد لقد سمعت رسول الله

"ﷺ" يقول: إن خالد لسيف من سيوف الله وما أحببت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا نريد ولا من أجل الدنيا نعمل.. كلنا في الله أخوة، ويتولى أبو عبيدة قيادة الجيوش في الشام، ويفتح الله على يديه الأمصار، ويذيع صيته ويصبح حديث الناس في كل مكان وكأنه أسطورة، فيفزع لذلك أشد الفزع، ويجمع الناس ويخطب فيهم قائلاً: أيها الناس ما أنا إلا رجل مسلم من قريش وما من أحد منكم أحمر أو أسود يفضلني بتقوى إلا وددت أن أكون في إهابه.

ما أعظم أدبك يا أبا عبيدة تجمع الناس فتقول لهم أنك مسلم من قريش لا أقل أو أكثر أما كونك أمير للأمراء وحاكم أمرك مطاع فكل هذا ليس له وزن في حسابك، يرحمك الله يا أبا عبيدة يا أمين أمة محمد بن عبد الله.

أول من سن الصلاة لمن يقتل!

في غزوة بدر يقتل المجاهد خبيب بن عدي، رجلاً من صناديد قريش، يدعى الحارث بن عامر بن نوفل ويطير الخبر إلى أهل مكة، وعلم بنو الحارث بذلك فتحفظوا الاسم وتربصوا بصاحبه حتى يثأروا منه بمقتل أبيهم، وتمر الأيام وبنو الحارث ينتظرون وقوع خبيب بن عدي في أيديهم، لينتقموا منه ويسومونه سواء العذاب.

تمر الأيام ويشاء الله أن يقع خبيب بن عدي في الأسر، ويبيعه المشركون إلى بني الحارث ليأخذوا ثأرهم منه، وجاء اليوم الذي انتظره بنو الحارث منذ زمن، فأخذوا خبيب وأوثقوه وسجنوه وساموه سوء العذاب محاولين أن يردوه عن دينه، فلم يفلحوا، إنهم لا يريديون أن يقتصوا منه لمقتل أبيهم فحسب، وكلهم يريدون أن ينالوا من دينه ويردوه عن إسلامه، ولكن هيهات أن يتحقق لهم هذا الحلم، فما زاده تعذيبه وسجنه إلا إصراراً على التمسك بدينه وعقيدته، فقرروا قتله والخلاص منه.

أثناء سجن خبيب بن عدي تروي لنا إحدى بنات الحارث موقفاً يكاد يكون شهادة حق للخبيب فتقول: والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطعاً من عنب في يده، وإنه لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمرة، إنه لرزق رزقه الله خبيبا.

نعم إنه رزق ساقه الله إلى خبيب، فمن الذي يطعمه فيسجنه سوى الله القادر على كل شيء، وهذا يدل على أن الله كان دائماً مع خبيب لأنه كان أيضاً مع الله، ويجمع القوم على قتله وخرجوا به من الحرم إلى التنعيم ليقتلوه في الحال، فطلب منهم أن يصلي ركعتين – فتركوه فصلى ثم قال: والله لولا أن تحسبوا أن مابي جزع من الموت لزدت.. فكان خبيب أول من سن صلاة ركعتين لمن يقتل صبراً، ويأتي أبو سفيان وكان في هذا الوقت مشركاً، ويقول لخبيب أتحب أن تكون في أهلك وولدك معافى آمناً ويكون محمد في مكانك؟ فانتفض خبيب وقال: لا والله ما أحب أن أكون في داري آمناً معافى، ومعي الدنيا وما فيها ويصاب محمد بشوكة، فيضرب أبو سفيان كفاً بكف يقول: والله ما رأيت أحداً يحب أحداً كما رأيت أصحاب محمد يحبون محمداً!

هكذا كان خبيب رجلاً قوياً لا ينطق إلا بالحق ولا ينطق إلا بما هو مستقر في قلبه من حبر لرسول الله "ﷺ"، ويقوم بنو الحارث بإعداد صليب من جذوع النخل ليصلبوا عليه خبيباً، فينظر إليهم ويقول اللهم أحصهم عدداً وأقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً.

وتجمع أعداء الإسلام بسهامهم وسيوفهم ليقتلوا خُبيت بعد أن صلبوه وقتل خُبيب ولكنه بقى في سجل الخالدين.

.. فسلام عليك يا خبيب في الخالدين..

بشـرى ومسـاندة من اللّه

أسند الرسول "ﷺ" لثمانية من أصحابه للقيام بأول عمل عسكري في الإسلام، وقال لهم لأؤمرن عليكم أصبركم على الجوع والعطش، ثم عقد لواءهم لعبد الله بن جحش، فكان أول أمير أمر على طائفة من المؤمنين.

حدد الرسول "ﷺ" لعبد الله بن جحش وجهته، وأعطاه كتاباً وأمره ألا ينظر فيه إلا بعد مسيرة يومين، فلما انقضى على مسيرة السرية يومان نظر عبد الله في الكتاب فإذا فيه:

"إذا نظرت في كتابي هذا فأمض حتى تنزل نخلة بين الطائف ومكة فترصد بها قريشاً وقف لنا على أخبارهم.. وما إن أتم عبد الله الكتاب حتى قال: سمعاً وطاعة لنبي الله، ثم قال لأصحابه: إن رسول الله "ﷺ" أمرني أن أمضي إلى نخلة لأرصد قريشاً، حتى آتيه بأخبارهم، وقد نهاني عن أن أستكره أحداً منكم على المضي معي، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فليصحبني، ومن كره ذلك فليرجع غير مذموم، فقال أصحابه: سمعاً وطاعة لرسول الله "ﷺ" إنما نمضي معك حيث أمرك نبي الله، ثم ساروا حتى بلغوا نخلة وأخذوا يبحثون خلال الطرق ليرصدوا أخبار قريش، وبعد قليل أبصروا عن بعد قافلة لقريش فيها أربعة رجال ومعهم تجارة لقريش،

فيها جلود وزبيب وعندئذ أخذ الصحابة يتشاورون فيما بينهم وكان اليوم آخر يوم من الأشهر الحرام، فقالوا: إن قتلناهم فإنما نقتلهم في الشهر الحرام، وفي ذلك ما فيه من إهدار حرمة هذا الشهر والتعرض لسخط العرب.

وإن أمهلناهم حتى ينقضي هذا اليوم دخلوا في أرض الحرم وأصبحوا في مأمن منا، وبعد المشاورة استقر الأمر على الهجوم على القافلة وفي لحظات قتلوا واحداً منهم وأسروا اثنين وفر الرابع منهم، ثم أخذ عبد الله بن جحش وسريته الأسيرين والعير متوجهين إلى المدينة.

لما قدموا على رسول الله "ﷺ" ووقف على ما فعلوه استنكر أشد الاستنكار، وقال لهم: والله ما أمرتكم بقتال، وإنما أمرتكم أن تقفوا على أخبار قريش، وأن ترصدوا حركتها..

وأوقف الأسيرين حتى ينظر في أمرهما.. وأعرض عن العير، موقف صعب وحرج لعبد الله بن جحش وأصحابه فقد خالفوا ما أمرهم به الرسول "ﷺ"، وأخذوا يشعرون بالندم على فعلتهم هذه وزاد عليهم الأمر ضيقاً، أن إخوانهم من المسلمين كلما مروا بهم يقولون: خالفوا أمر رسول الله "ﷺ" ولم اشتد عليهم الكرب وثقل عليهم البلاء بعد أن اتخذت قريش من هذا الموقف ذريعة للنيل والتشهير برسول الله "ﷺ".

جاءهم البشير يبشرهم بأن الله سبحانه قد رضي عن صنيعهم.. وأنه أنزل على نبيه في ذلك قرآناً، لقد كانت فرحتهم ليس لها وصف أو مثيل، وقد أقبل عليهم المسلمين مبشرين مهنئين وهم يتلون ما نزل في عملهم من القرآن الكريم (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام، وإخراج أهله منه أكبر عند الله، والفتنه أكبر من القتل).

فلما نزلت هذه الآية رضى الرسول "ﷺ" عن فعل أصحابه وطابت نفسه.. هكذا كان أصحاب الرسول "ﷺ" يحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

بطلة باسلة

أسلمت أم عمارة نسيبة بنت كعب وحضرت العقبة وبايعت رسول الله "ﷺ"، وقد شهدت غزوات كثيرة من الرسول "ﷺ" ولها موقفها المشهود الذي يفيض بالبطولة في غزوة أحد، فقد شهدت أحد مع زوجها غازية وابنيها، وقد خرجت معهم أول النهار بشن لتسقي الجرحى، ولكنها مع شدة وطأة المعركة تركت دورها كساقية للجرحى وتحولت إلى مقاتلة بارعة، فقد قاتلت يومئذ وأبلت بلاءاً حسناً، وجرحت اثنى عشر جرحاً بين طعنة برمح أو ضربة بسيف.. يا لها من بطولة تقوم بها سيدة تزود بكل ما تملك من أجل نصرة الإسلام.

وقد روي عن أم سعيد بنت سعد بن ربيع أنها دخلت على أم عمارة، وقالت لها:حدثيني خبرك يوم أحد؟ فقالت لها أم عمارة: خرجت أول النهار إلى أحد وأنا أنظر ما صنع الناس، ومعي ساقية ماء فانتهيت إلى رسول الله "ﷺ" وهو في أصحابه والدولة والربح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله "ﷺ" فجعلت أباشر القتال وأدافع عن رسول الله "ﷺ" بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إلى الجراح، قالت أم سعيد فرأيت على عاتقها جرحاً له غور أجوف، فقلت يا أم عمارة من أصابك هذا؟ قالت:

أقبل بن قميئة وقد ولى الناس عن رسول الله "ﷺ" يصيح دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا، فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه وكنت فيهم فضربني هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن – عدو الله – كان عليه درعان.

ما أعظم التضحية والفداء، فنجد هذه السيدة تدافع بأغلى ما تملك تدافع بروحها فداء لرسول الله "ﷺ" فلم تنسحب من المعركة حينما ولى الناس.. وقد أثنى الرسول "ﷺ" على أم عمارة ثناءً عظيماً فقد قال: "ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة"، وقوله وهو يخاطب ابن أم عمارة "بارك الله عليكم أهل البيت مقام أمك خير من مقام فلان وفلان".

وقول الرسول "ﷺ": ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني – رحم الله – أم عمارة البطلة الباسلة التي كادت أن تجود بنفسها في غزوة أحد فداءً لرسول الله "ﷺ" فرضي الله عنها وأرضاها.

باع الدنيا بالآخرة!

دخل سعيد بن عمار الجمحي على عمر بن الخطاب في أول خلافته، فقال: يا عمر أوصيك أن تخشى الله في الناس ولا تخشى الناس في الله، وألا يخالف قولك فعلك، فإن خير القول ما صدقه الفعل، يا عمر: أقم وجهك لمن ولاك الله أمره من بعيد المسلمين وقريبهم، وأحب له ما تحب لنفسك وأهل بيتك وأكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، وخض الغمرات إلى الحق ولا تخف في الله لومة لائم.. قال عمر: ومن يستطيع ذلك يا سعيد؟ فقال: يستطيعه رجل مثلك ممن ولاهم الله أمر أمة محمد، وليس بينه وبين الله أحد.

دعا عمر بن الخطاب سعيداً إلى مؤازرته وقال: يا سعيد إنا مولوك على أهل حمص، فقال: يا عمر نشدتك الله ألا تفتنني، فغضب عمر وقال: ويحكم وضعتم هذا الأمر في عنقي ثم تخليتم عني، والله لا أدعك، ثم ولاه على حمص ومضى سعيد إلى حمص فقال لهم: اكتبوا لي أسماء فقرائكم حتى أسد حاجتهم فرفعوا كتاباً فإذا به فلان وفلان وسعيد بن عمار، فقال: ومن سعيد بن عمار؟ فقالوا أميرنا، فقال: أميركم فقير، قالوا :نعم ووالله إنه ليمر عليه الأيام الطوال ولا يوقد في بيته نار، فبكى عمر بن الخطاب حتى بللت

دموعه لحيته، ثم عمد إلى ألف دينار فجعلها في صرة وقال: اقرؤوا عليه السلام مني وقولوا له: بعث إليك أمير المؤمنين بهذا المال لتستعين به على قضاء حاجاتك: جاء الوفد لسعيد بالصرة فنظر إليها فإذا هي دنانير، فجعل يبعدها عنه وهو يقول : إنا لله وإنا راجعون، كأنما نزلت به نازلة أو حل بساحته خطب، فهبت زوجته مذعورة وقالت: ما شأنك يا سعيد؟ أمات أمير المؤمنين؟ قال: بل أعظم من ذلك.. قالت: أأصيب المسلمون في وقعة؟قال: بل أعظم من ذل .. قالت: وما أعظم من ذلك؟ قال: دخلت عليّ الدنيا لتفسد آخرتي، وحلت الفتنة في بيتي قالت: تخلص منها وهي لا تدري من أمر الدنانير شيئاً، قال أو تعينينني على ذلك؟ قالت: نعم، فأخذ الدنانير فجعلها في صرر ثم وزعها على فقراء المسلمين.

حم الله سعيد بن عامر لقد أوصى عمرو بن الخطاب وصية تعتبر دستوراً للحكم، وعندما طلب منه أن يوليه على حمص رفض بشدة في أول الأمر خوفاً من أن تدخل عليه الدنيا فتسفد آخرته، ولكن مع إصرار عمر وإحساس سعيد بمسئوليته نحو دينه فقد وافق، ومع أنه أصبح أميراً لحمص إلا أنه عاش حياة الكفاف، بل أقل من ذلك حتى عد من فقراء حمص، نعم لقد باع سعيد بن عامر الدنيا واشترى الآخرة فربح البيع، لقد كان في أشد الحاجة إلى الدنانير التي أرسلها له عمر لتساعده على قضاء حاجاته، ولكنه رفضها ووزعها على فقراء المسلمين لأنه يعلم أن الآخرة خير وأبقى.

درس لا ينسى

كلما جاءت ذكرى غزوة بدر الكبرى تذكرنا موقفاً مشهوداً عندما جمع الرسول "ﷺ" المهاجرين والأنصار ووقف يستشعر استعدادهم لملاقاة جيش المشركين، وراح يشاورهم في الأمر ويأخذ رأي أصحابه، فقال الرسول "ﷺ": "اشيروا علي أيها الناس" فتكلم أبو بكر فأحسن ثم تكلم عمر بن الخطاب فأحسن، ثم تقدم المقداد بن عمرو وقال كلمات حاسمة تكاد تكون دستوراً:

"يا رسول أمضي لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلاإنا ها هنا قاعدون، بل نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون.. والذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، ولنقاتلن عن يمينك وعن يسارك وبين يديك ومن خلفك حتى يفتح الله لك.

لقد دوت هذه الكلمات التي قالها المقداد بن عمرو في نفوس المسلمين وتهلل وجه الرسول لسماعه هذه الكلمات، وقد كان جميع الذين تحدثوا من المهاجرين، ونظر الرسول "ﷺ"إلى الأنصار وقال: "اشيروا علي أيها الناس" فوقف سعد بن معاذ وقال:

والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال: أجل.. فقال سعد: آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به الحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر عند الحرب، وصدق عند اللقاء لعل الله يريد فينا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فانشرح صدر رسول الله "ﷺ" لهذا الكلام الصادق وقرر أن يخرج إلى غزوة "بدر"، وقال: " أبشروا فقد وعدني الله إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم".

والتقى الجمعان ودارت بينهم معركة شرسة، ولكن الله سبحانه وتعالى نصر المسلمين رغم قلتهم على المشركين رغم كثرتهم، ولقن المسلمون صناديد قريش درساً لم ينسوه طوال حياتهم.

ومن هذا الموقف نجد أن الرسول "ﷺ"قد أرسى مبدأ الشورى، فشاور أصحابه من المهاجرين والأنصار، وأخذ برأيهم ونلاحظ هنا صدق أصحاب الرسول "ﷺ" فحق على الله سبحانه وتعالى أن ينصرهم (وما النصر إلا من عند الله).

ذكاء جعفر وعدل النجاشي

لما أشتد الأذى بالمسلمين في مكة على أيدي كفار مكة أمر رسول الله "ﷺ" جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين، أن يهاجروا إلى الحبشة وكان أميرهم جعفر فسمعت قريش، فجمحت هدية للنجاشي ملك الحبشة وأرسلتها مع عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، وقدما على النجاشي وقدما له الهدية، ثم قال عمرو: إن أناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك، قال النجاشي: في أرضي! قالوا: نعم فبعث إلى المسلمين فقدموا عليه، فقال جعفر: إن الله بعث فينا رسولاً وهو الذي بشر به عيسى عليه السلام، قال:

(ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ونقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر، فأعجب النجاشي قوله.

لما رأى ذلك عمرو بن العاص قال: أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في ابن مريم، فقال النجاشي لجعفر:

ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قول الله عز وجل: هو روح الله وكلمته أخرجه من البتول العذراء، التي لم يقربها بشر

ولـم يفترضـها ولـد (أي لـم يخـرج منهـا ولـد قبـل المسـيح).. فتنـاول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه فقال: يا معشر القسيسين والرهبان: ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذا، مرحباً بكـم وبمـن جئتم مـن عنـده.. وأنـا أشـهد أنـه رسـول الله وأنـه الـذي بشـر بـه عيسى عليه السلام.. ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله امكثوا في أرضي ما شئتم.

نجـد فـي هـذا الموقـف أن الرسـول "ﷺ" أحسـن اختيـار الحبشـة لتكـون مهجراً للمسـلمين، خاصـة أن ملـك الحبشـة النجاشـي اشـتهر بالعدل والذكاء، وتلاحظ أيضاً أن يهود قريش وهـم من صـناديد القـوم حينمـا أتـوا إلـى النجاشـي، يحـاولون رد المسـلمين إلـى مكـة لينتقمـوا مـنهم ويسـومونهم سـوء العـذاب، لـم تفلـح محـاولتهم، وذلـك بسـبب موقف جعفر بن أبي طالب ورده على أسئلة النجاشي بذكاء من أسلم وجهـه إلـى الله، فكـان رد جعفـر برهـان صـدق علـى رسـالة محمـد "ﷺ"مما جعل النجاشي يعجب بقوله، بل أكثر من ذلك أنه اعترف أن محمد هو رسول الله الـذي بشر بـه عيسـى بـن مريم، إن النجاشـي ملك الحبشـة قد فكر بعقلـه، وتدبر فيما قاله عمرو بـن العاص ومـا قاله جعفر بن أبي طالـب فرجح موقف جعفر بن أبي طالـب وأمر أن يمكـث المسلمين ما شاءوا في أرض الحبشة.

– رحم الله – النجاشي فقد نصر المسلمين حينمـا اشـتد أذى كفـار مكة لهم.

رجـال بـدر

فـي السـابع عشـر مـن رمضـان عـام ٢ هجريـة دارت أحداث غزوة بدر التي تبعتها تحولات كبرى في تاريخ ومصير الدولة الإسلامية الناشئة بقيادة الرسول "ﷺ". كانـت الغـزوة حافلـة بالـدروس والمواقـف.. ولـيكن لنـا معها الآن نظرة جديدة من خلال قراءة أحداثها.

كما نعلم، خرج أبو سفيان في خريف السنة الثانية للهجرة في تجارة كبيرة يقصد الشام، وعلم الرسول "ﷺ" بخبر هذه القافلة من عيونه المبثوثة في كل مكان. مرت القافلة قبل أن يلحقها الرسول وأتباع ، فاعتزم "ﷺ" أن يعترضها في طريق عودتها.

هنا يلمع نجم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد، حيث أمرهما الرسول بتتبع القافلة وتلمس أخبارها، فسارا حتى نزلا عند رجل يدعى "كشد الجهني"، وعندما عادت القافلة أسرعا إلى الرسول ليخبراه بأمرها، فوجدا الرسول قد علم أمرها من رجال من "براته".. قافلة عظيمة اشترك فيها كل أهل مكة، تقدر بنحو ٥٠ ألفاً من الدنانير.

وتحدث ملابسات تنتهي بحتمية المواجهة بعدما استنجد أبو سفيان قائد القافلة بأهل مكة فخرجوا لقتال النبي ،يشاور النبي أصحابه فيسجل المقداد بن عمرو موقفاً خالدا لا ينسى.. قال مخاطبا الرسول: يا رسول الله امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى "اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون، فأشرق وجه الرسول "ﷺ"، وسكت الناس، فقال النبي أشيروا علي أيها الناس، وكان يقصد الأنصار الذين بايعوه يوم العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم.. هنا سجل سعد بن معاذ موقف خالداً آخر.. نهض قائلا: يا رسول الله، لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، وما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينيك فسر بنا على بركة الله.

لـم يكـد سـعد ينهـي كلمتـه، حتـى أشـرق وجـه الرسـول، وقـال: "سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكاني الآن أنظر إلى مصارع القوم".

وبعـث الرسـول بفرقـة استكشـافية بقيـادة علـى بـن أبـي طالـب، والزبير بن العوام، وسعد بـن أبي وقاص، ليعرفوا خبر القوم، فوجدوا غلامين من موالي قريش أحدهما لبني الحجاج، والآخر لبني العاص، فأتوا إلى رسول الله الذي استجوبهما بنفسه.

وبعد تحليل المعلومات التي عرفها النبي من الغلامين، تبين أن عدد المشركين حوالي ألفا..

وكان اختيار موقع المعركة اختباراً لقدرات الرجال أيضاً فأشار الحباب بن المنذر على الرسول بالنزول قرب ماء، حتى يشربوا ولا يشرب الكفار.. وكان رأياً صائباً أخذ به النبي "ﷺ".. وبدأت الحرب وأنتصر المسلمون، وسجل التاريخ في معركة بدر مواقف خالدة لا يمكن أن تنسى.

سماحة الإسلام

خرج عمير بن وهب من مكة متجهاً إلى المدينة لقتل الرسول "ﷺ"بعد أن اتفق مع صفوان بن أمية على أن يسدد دينه ويرعى عياله، خرج عمير ونيران الحقد تتأرجح في قلبه على محمد "ﷺ"، وما إن وصل عمير إلى المدينة ومضى نحو المسجد يريد رسول الله، حتى بادر عمر بن الخطاب إلى الرسول "ﷺ" وقال:

يريد شراً ، فقال عليه السلام: أدخله علي، فأقبل عمر بن الخطاب على عمير بن وهب وأخذ بتلابيبه وطوق عنقه بحمالة سيفه ومضى به نحو رسول الله، فلما رآه الرسول "ﷺ" قال له: ما الذي جاء بك يا عمير؟.. قال: جئت أرجو فكاك هذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا إلي فيه، وكان لعمير بن وهب قد أسر في غزوة بدر، فقال الرسول: فما بال السيف الذي في عنقك؟ قال عمير: قبحها الله من سيوف.. وهل أغنت عنا شيئاً يوم بدر؟ قال الرسول: اصدقني ما الذي جئت له يا عمير؟ قال: ما جئت إلا لذاك. قال الرسول: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية عند الحجر فتذاكرتما أصحاب القليب من صرعى قريش، ثم قلت : لولا دين عليَّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً.. فتحمل لك صفوان بن أمية

دينك وعيالك على أن تقلتني، والله حائل بينك وبين ذلك فذهل عمير لحظة، ثم مالبث أن قال: أشهد أنك لرسول الله..

ثم قال: لقد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، لكن خبري مع صفوان بن أمية لم يعلم به أحد إلا أنا وهو، ووالله لقد أيقنت أنه ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي ساقني إليك سوقاً، ليهديني إلى الإسلام، ثم شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأسلم، فقال الرسول "ﷺ" لأصحابه: فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره.

وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ، لخنزير كان أحب إلي من عمير بن وهب حين قدم على رسول الله "ﷺ"، وهو اليوم أحب إلي من بعض أبنائي.

لقد فكر عمير بن وهب في سماحة هذا الدين وفي عظمة هذا الرسول، أية سماحة وأي صفاء وأية ثقة بالنفس يحملها هذا الدين العظيم، الذي في لحظة يمحو كل خطاياه السابقة، وينسى المسلمون كل جرائره وعداواته السابقة ويفتحون له قلوبهم وفي لحظات عرف عمير واجبه تجاه هذا الدين، وواصل مسيرته متبعاً أثر الرسول العظيم الذي هدى الله به الناس من الضلالة وأخرجهم من الظلمات إلى النور.

شجاعة واستبسال في طلب النصر

عندما انتقل الرسول "ﷺ" إلى الرفيق الأعلى، وظهرت الردة، صمد الصديق أبو بكر لهذه الفتنة المدمرة صمود الجبال، وجهز من المهاجرين والأنصار أحد عشر جيشاً، ودفع بهم في أرجاء الجزيرة العربية ليعيدوا المرتدين إلى سبيل الهدى والحق، وكان أقوى المرتدين بأساً وأكثرهم عدداً بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب، فأرسل له أبو بكر الصديق جيش بقيادة عكرمة بن أبي جهل، ولكن جيش مسيلمة هزم جيش المسلمين، فأرسل الصديق جيشاً ثانياً بقيادة خالد بن الوليد، وكان في طليعة جيش خالد، البراء بن مالك الأنصاري الذي كان له موقف يعجز أي كاتب أن يصوره.

لقد دارت بين المسلمين وأصحاب مسيلمة معركة لم تعرف حروب المسلمين لها نظير من قبل وثبت قوم مسيلمة في ساحة المعركة ثبات الجبال، وأظهر المسلمون من خوارق البطولات ما يعجز عن وصفه، فعندما رأى خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين المعركة تشتد، التفت إلى البراء بن مالك وقال: إليهم يا فتى الأنصار

فالتفت البراء إلى قومه وقال: يا معشر الأنصار لا يفكرن أحد منكم بالرجوع إلى المدينة، فلا مدينة لكم بعد اليوم، وإنما هو الله وحده ثم الجنة.. ثم حمل على المشركين وحملوا معه وانبرى يشق صفوف المشركين ويعمل السيف في رقاب أعداء الله حتى زلزلت أقدام مسيلمة وأصحابه فلجأوا إلى الحديقة، التي عرفت في التاريخ بعد ذلك باسم حديقة الموت لكثرة ما قتل فيها في ذلك اليوم، وأغلق مسيلمة والآلاف المؤلفة من جنده عليهم أبوابهم، وتحصنوا بأعالي جدرانها، وهدأت المعركة ولكن البراء بن مالك لم يهدأ، لم يهدأ هذا الفارس المغوار الذي يبحث عن الشهادة أكثر من بحثه عن النصر، لقد قال لأصحابه لا مدينة لكم اليوم إنما هو الله والجنة، لقد كان يبحث عن الجنة، وقد علا "البراء بن مالك" ربوة عالية وصاح يا معشر المسلمين احملوني وألقوني عليهم في الحديقة فهو حين يقذف في الحديقة يفتح للمسلمين بابها، وقد تمزق سيوف المشركين جسده فينال الشهادة التي يحرص عليها، وقذف البراء في الحديقة بين الآلاف من جند مسيلمة ولكنه كان شجاعاً جسوراً لا يهاب الموت بل يحرص عليه، واستطاع أن يقاتل بمفرده جيش مسيلمة، وفتح باب الحديقة للمسلمين، فتدفق المسلمون على الحديقة من جدرانها وأبوابها حتى قتلوا من جيش مسيلمة عدداً كبيراً لا يمكن حصره، ووصلوا إلى مسيلمة وقتلوه، ورغم حرص البطل الشجاع البراء بن مالك على الشهادة فقد أصيب ببضع وثمانين

جرحاً وقد ظل بعد المعركة شهراً كاملاً يعالج من جراحه، ويشرف خالد بن الوليد بنفسه على تمريضه، لقد كتب الله لجند المسلمين على يد البراء بن مالك النصر في هذه المعركة الشرسة.

اللهم ارفع البراء بن مالك بكل ضربة سيف في سبيلك درجة في الجنة واجعله ممن قلت فيهم: أن تلكم الجنة، أورثتموها بما كنتم تعلمون.

صورة صادقة للفطرة الرشيدة

حدث الطفيل بن عمرو الدوسي: "قدمت مكة فما إن رآني سادة قريش حتى أقبلوا علي فرحبوا بي أكرم ترحيب، وأنزلوني فيهم أعز منزل، ثم اجتمع إلي سادتهم وكبراؤهم وقالوا: يا طفيل إنك قد قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي قد أفسد أمرنا، ومزق شملنا، وشتت جماعتنا، ونحن إنما نخشى أن يحل بك وبزعامتك في قومك ما قد حل بنا، فلا تكلم الرجل ولا تسمعن منه شيئاً فإن له قولاً كالسحر يفرق بين الولد وأبيه وبين الأخ وبين الزوجة وزوجها".

قال الطفيل: فو الله ما زالوا بي يقصون عليّ من غرائب أخباره يخوفونني على نفسي وقومي بعجائب أفعاله، حتى أجمعت أمري على ألا أقترب منه وألا أكلمه أو أسمع منه شيئاً، ولما غدوت إلى المسجد للطواف بالكعبة والتبرك بأصنامها التي كنا إليها نحج وإياها نعظم، حشوت في أذني قطناً خوفاً من أن يلامس سمعي شيء من قول محمد.. لكن ما إن دخلت المسجد حتى وجدته قائماً يصلي عند الكعبة صلاة غير صلاتنا، ويتعبد عبادة غير عبادتنا، فأسرني منظره، وهزتني عبادته، ووجدت نفسي أدنو منه شيئاً فشيئاً على غير

قصد مني حتى أصبحت قريباً منه، وأبى الله إلا أن يصل إلى سمعي بعض مما يقول، فسمعت كلاماً حسناً وقلت في نفسي:

ثكلتك أمك يا طفيل: إنك لرجل لبيب شاعر، وما يخفي عليك الحسن من القبيح، فما يمنعك أن تسمع من الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته، قال الطفيل: ثم مكثت حتى انصرف رسول الله "ﷺ" إلى بيته، فتبعته حتى إذا دخل داره دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا عنك كذا وكذا، فو الله ما برحوا يخوفونني من أمرك حتى سددت أذني بقطن، لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني شيئاً منه، فوجدته حسناً فاعرض علي أمرك، فعرض علي أمره، وقرأ لي سورة الإخلاص والفلق فوالله ما سمعت قولاً أحسن من قوله، ولا رأيت أمراً أعدل من أمره عند ذلك بسطت يدي له وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ودخلت في الإسلام.

لقد أثنى الله تعالى في كتابه على الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه صورة صادقة من صور الفطرة الرشيدة فما كاد يسمعه يلتقط بعض آيات الرشد والخير التي أنزلها الله على فؤاد رسوله، حتى تفتح كل سمعه وكل قلبه وحتى بسط يمينه مبايعاً ليس ذلك فحسب، بل وحمل نفسه من فوره مسئولية دعوة قومه وأهله إلى هذا الدين الحق.

صنم عمرو بن جموح

كان أبناء عمرو بن الجموح يعرفون مدى تعلق أبيهم بصنمه وكيف أنه أصبح مع الزمن قطعة منه، يخلص له العبادة، ولكنهم أدركوا أنه بدأت تتزعزع مكانته في قلبه بعد انتشار الإسلام، وأن عليهم أن ينتزعوه من نفسه انتزاعا، فذلك سبيله إلى الإيمان، وعندما جن الليل قام أبناء عمرو بن الجموح ومعهم صديقهم معاذ بن جبل إلى صنم أبيهم "مناة"، وحملوه من مكانه وذهبوا به إلى حفرة لبني سلمة يرمون بها أقذارهم، وطرحوه فيها وعادوا إلى بيوتهم دون أن يعلم بهم أحد .

لما أصبح عمرو ذهب إلى صنمه ليؤدي إليه التحية، فلم يجده فقال: ويلكم من عدا على إلهنا هذه الليلة؟ فلم يجبه أحد بشيء، فأخذ يبحث عنه في داخل البيت وخارجه وهو كالأسد في ثورته وشدة غضبه، ويتهدد ويتوعد حتى وجده منكساً على رأسه في الحفرة فغسله، وطهره وطيبه وأعاده إلى مكانه، وقال: له أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزيته، كيف لا يستطيع إلهك الدفاع عن نفسه؟ أتعبد صنماً لا حول ولا قوة له؟

في الليلة الثانية عاد الفتية على "مناة" فعلوا فيه مثل فعلهم بالأمس فلما أصبح عمرو التمسه فوجده في الحفرة ملطخاً بالأقذار، فأخذه وغسله وطيبه وأعاده إلى مكانه، وما زال الفتية يفعلون بالصنم مثل ذلك كل يوم، فلما ضاق بهم صبراً، راح إلى مناة قبل نومه وأخذ سيفه فعلقه برأسه وقال له: يا مناة، إني والله ما أعلم من يصنع بيك هذا الذي ترى، فإن كان فيك خير فادفع الشر عن نفسك، وهذا السيف معك، ثم أوى إلى فراشه.. فما أن استيقن الفتية من أن أبيهم قد دخل في النوم حتى هبوا إلى الصنم، فأخذوا السيف من عنقه وذهبوا به خارج المنزل.. وربطوه مع كلب ميت بحبل وألقو بهما في بئر لبني سلمة تسيل إليها الأقذار وتتجمع فيها.. فلما استيقظ عمرو بن جموح ولم يجد صنمه العزيز خرج يلتمسه فوجده مكباً على وجهه في البئر، مربوطاً مع كلب ميت وقد سلب منه السيف، فلم يخرجه هذه المرة من البئر، وإنما تركه حيث ألقوه، ثم قال: والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن.

ما لبث أن دخل في دين الله، وتذوق عمرو بن الجموح حلاوة الإيمان مما جعله يندم على كل لحظة من عمره قضاها في عبادة الأصنام، وأقبل على دين الاسلام بجسده وروحه وعقله، ووضع نفسه وماله وولده في طاعة الله وطاعة رسوله.

قضاء حاجة القاتل!

كان لعمر بن الخطاب أخاً عزيزاً على نفسه، قريباً إلى قلبه، وفي معركة من معارك الجاهلية يقتل أحدا الناس أخو عمر، وعندما أصبح عمر بن الخطاب أميراً للمؤمنين قصده قاتل أخيه في حاجة إليه وهنا ظهرت نفس عمر الإنسان أخو القتيل لا أحبك حتى تحب الأرض الدم، قال الرجل القاتل: أومانعي هذا حقاً؟ وهنا تتجلى أسمى الأخلاق والشيم وتظهر شخصية عمر بن الخطاب أمير المؤمنين وليست شخصية عمر الإنسان فيقول أمير المؤمنين: لا، ويرد الرجل القاتل: فإنه لا يأسى على الحب إلا النساء، وقضى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين حاجة الرجل ومضى لشأنه.

وإذا قمنا بإلقاء الضوء على هذا الموقف في عجالة سنجده صورة مضيئة لعمر بن الخطاب أمير المؤمنين، أي صنف من الناس كان عمر، يأتيه قاتل أخيه يطلب حاجته في وقاحة ودون أي أعتذار أو طلب المغفرة على جريمته البشعة، ومع ذلك ينهض عمرو بن الخطاب أمير المؤمنين ليلبي له حاجته رغم أنه لا يحبه، ولكنها

التزامات وواجبات أمير المؤمنين تحتم عليه أن يقضي حاجة السائل، ونجد أن الرجل لولا علمه بأن عمر سوف يقضي له حاجته ما ذهب إليه.. لقد حكم عمر بن الخطاب بالعدل فكان أعدل الناس.

كاتم سر رسول الله!

لقد كان حذيفة بن اليمان حريصاً كل الحرص على معرفة الشر حتى يتجنبه، ويقول في ذلك: كان الناس يسألون رسول الله "ﷺ" عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله قد كنا في جاهلية وشر فأتانا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، يقول فقلت يا رسول الله: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن أو قال: وفيه دخل فقلت: يا رسول الله وما دخله؟

قال: أقواماً يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر فقلت: يا رسول الله وهل بعد ذلك الخير الذي فيه دخل من شر؟ قال: نعم .. دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت:

يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم أناس من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

فقلت: وماذا تأمرني إن أدركني ذلك الزمان؟ قال: عليك أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم فقلت: وإذا لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام؟ قال: إذاً فعليك أن تعتزل كل تلك الفرق، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

يرحمك الله – يا حذيفة الناس يسألون عن الخير لينالوا منه وأنت تسأل عن الشر لتتجنبه وتبعد عنه.. ما أعظمك، لقد عرفت أن الخير واضح وضوح الشمس لا يحتاج إلى سؤال أما الشر فهو مختفي يحتاج إلى كل هذه الأسئلة لكي تبتعد عنه كما بعد المشرق عن المغرب ولشدة حرص حذيفة بن اليمان على معرفة الشر أطلعه رسول الله "ﷺ" على أسماء المنافقين، فكان الوحيد من الصحابة الذي يعرفهم بأسمائهم وأنسابهم، ولذلك سمي بصاحب سر رسول الله "ﷺ"، ولقد كان هذا شرف لحذيفة بن اليمان أن يكون صاحب سر رسول الله "ﷺ".

وقد كان عمر بن الخطاب حريصاً على البحث عن حذيفة في الجنازات فإن رآه صلى على الجنازة صلى عليها، وإن افتقده في جنازة لم يصل عليها، واستدعاه يوماً في خلافته وقال له أنشدك الله يا حذيفة، هل في عمالي أحد من المنافقين؟

فقال حذيفة: نعم واحد فقط ، فقال عمر ومن هو؟ فأبى حذيفة أن يخبره حتى لا يذيع السر، فأخذ عمر يتحرى عن عماله حتى أصبح وقد عزل العامل "المنافق" وكأن الله قد دله عليه، ويظل حذيفة بن اليمان حريصاً على الابتعاد عن الشر حتى لا يدركه حافظاً لوصايا الرسول "ﷺ" عاملاً بها حتى يفارق الحياة.

مؤمن مبشر بالقتل!

دخل عمار بن ياسر على رسول الله "ﷺ" في دار الأرقم، وهو يبكي بكاء مرًّ تكاد تخنقه عبراته، فسأله النبي "ﷺ" ما ورائك؟ قال: شر يا رسول الله، ما تركتُ حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير.. قال: كيف تجد قلبك ؟ قال: مطمئناً بالإيمان، قال:

فإن عادوا لك فعد لهم، وتلك رخصة منحت لمن لا يقوى على العذاب في النطق بكلمة الكفر، بشرط اطمئنان قلبه بالإيمان، وكان السبب في هذه الرخصة ما حدث لعمار بن ياسر وأمه وأبيه، فقد نزل قول الله عز وجل: (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)، وحين أبلغت هذه الرخصة لسمية أم عمار، قالت: والله ما أنطق بكلمة الكفر أبداً بعد أن نجاني الله منه، واستمرت في تحمل العذاب حتى فقد المعذبون لها صبرهم فطعنها أحدهم بحربة أسفل بطنها فقتلها، وأصبحت بذلك أول شهيدة في الإسلام.

وقد تولى بنو المغيرة بن مخزوم عذاب عمار وآله عذاباً لا طاقة لبشر على احتماله ليردوهم عن الإسلام، ولم يكن رسول الله

"ﷺ" يملك لهم شيئاً إلا أن يقول: صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة.

وكان رسول الله "ﷺ" يخرج كل يوم إلى أسرة ياسر، محيياً صمودها وبطولتها، وكان قلبه الكبير يذوب رحمة وحناناً لمشهدهم وهم يتلقون من العذاب مالا طاقة لهم به، ولقد وصف أصحاب عمار العذاب الذي نزل به في أحاديث كثيرة منها:-

يقول عمرو بن الحكم: كان عمار يعذب حتى لا يدري ما يقول.. ويقول عمرو بن ميمون: أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار فكان رسول الله "ﷺ" يمر به، ويمر يده على رأسه ويقول: يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت برداً وسلاماً على إبراهيم، وظل عمار بن ياسر يتحمل العذاب حتى هاجر إلى المدينة، وفي يوم من الأيام يختلف خالد بن الوليد مع عمار بن ياسر ويحدث بينهم سوء تفاهم عابر، ويرفع الرسول "ﷺ" رأسه فيجد عمار يبكي فيقول خالد بن الوليد: فخرجت خلف عمار، فما كان شيء أحب إلي من رضا عمار، فأخذت أسترضيه حتى يحدث خلاف بين علي ابن أبي طالب – بعد أن تولى الخلافة – ومعاوية بن أبي سفيان وينضم عمار إلى جانب علي بن أي طالب، ويستبشر " علي" بذلك لأنه يعلم ان عمار دائماً على الحق وأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية كما بشر رسول الله "ﷺ" بين الحق والباطل.

ويصول عمار بن ياسر في موقعة صفين وهو يهتف مستبشراً: اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه، ويستريح قليلاً من عناء المعركة ويطلب شراباً يشربه فيأتونه بإناء به لبن، وبينما يراه يتهلل وجهه فرحاً يقول: لقد قال لي رسول الله "ﷺ" يا عمار آخر شربة تشربها من الدنيا، شربة لبن، ثم يوصي من حوله قائلاً: ادفنوني في ثيابي فإني مخاصم، ويأخذ سيفه، وينـدفع إلى ساحة المعركة ويسقط شهيداً وتقتله الفئة الباغية التي كانت مع معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص برجلين يدخلان عليهما يبشرانهما بقتل عمار بن ياسر، وكل منهما دعى قتله ويختصمان فيه، وينفجر عمرو بن العاص باكياً وهو يقول: والله، إن يختصمان إلا في النار، والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

وعرف الناس بهذه الموقعة من الفئة الباغية ومن الفئة التي على حق، فكان باستشهاده رحمة للمسلمين من هذه الفتنة الكبيرة التي كادت أن تقضي على المسلمين، ويذهب عمار بن يسار إلى جنات ربه التي وعد بها منذ إسلامه.

مسئولية الحاكم تجاه الرعية

بينما عمر بن الخطاب جالساً تحت ظل شجرة وقت الظهيرة، وإذا أعرابية تتوسم الناس فجاءته فقالت: إني امرأة مسكينة ولي بنون وإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان بعث محمد بن مسلمة ساعياً – تعني جابياً وموزعاً للصدقة – فلم يعطنا فلعلك يرحمك الله – أن تشع لنا إليه، ولم تكن المرأة تعرف أنه عمر بن الخطاب، فصاح عمر منادياً خادمه أن أدع لي محمد بن مسلمة، فقالت: إنه أنجح لحاجتي أن تقوم معي إليه فقال:

إنه سيفعل إن شاء الله، فجاءه خادمه بمحمد بن مسلمة، فقال عمر: أجب، فقال السلام عليكم يا أمير المؤمنين، فاستحيت المرأة لأنها لم تعرف أن الذي جاءت تطلب وساطته هو عمر بن الخطاب،، فقال عمر: والله ما أدخرت وسعاً أن أختار خياركم، كيف أنت قائل إذا سألك الله عز وجل عن هذه؟ فدمعت عينا محمد بن مسلمة.. ثم قال عمر: إن الله بعث إلينا نبيه "ﷺ" فصدقناه واتبعناه فعمل بما أمره الله به، فجعل الصدقة لأهلها من المساكين حتى قبضه الله، ثم استخلف الله أبا بكر فعمل بسنته حتى قبضه الله ثم استخلفني فلم ادخر وسعاً أن أختار خياركم، إن بعثتك فأد إليها

صدقة هذا العام والعام الماضي، وما أدري لعلي لا أبعثك، ثم دعا لها بجمل فأعطاها دقيقاً وزيتاً، وقال خذي هذا حتى تلحقينا بخيبر، فإنا نريدها.

فأتته بخيبر، فدعا لها بجملين آخرين، وقال: خذي هذا فإن فيه بلاغاً حتى يأتيكم محمد بن مسلمة فقد أمرته أن يعطيك حقك لهذا العام والعام الماضي، ما أجدرنا أن نقف عند هذا الموقف الخالد وقفة قصيرة لنحلله ونأخذ العبرة منه..

إن المتأمل لهذا الموقف التاريخي يجده يدل على معان كثيرة وأخلاق سامية، إن هذا الموقف يدل على مدى شعور الحاكم المسلم بمسئوليته عن كل فرد يعيش في ظل حكم الإسلام ولو كانت امرأة أعرابية في بادية بعيدة جداً، ويدل أيضاً هذا الموقف على مدى شعور الأفراد أنفسهم بحقهم المعلوم في عنق الدولة المسلمة، الزكاة التي فرضها الله على أغنيائهم لترد في فقرائهم.. ويدل على أن سياسة عمر بن الخطاب هي إعطاء ما يكفي ويغني فقد أعطى المرأة أولاً جملاً محملاً بالدقيق والزيت، ثم ألحق به جملين آخرين وجعل هذا كله عطاءاً مؤقتاً حتى يعطيها محمد بن مسلمة حقها من العامين الماضي والحالي.

كما يدل من ناحية أخرى على أن نصيب الفرد السنوي من الزكاة رجلاً كان أو امرأة لمن يكن بالشيء الهين مع بساطة المجتمع

البدوي، وقلة حاجاته وتدل بعد ذلك كله على أن عمر بن الخطاب "ﷺ" لم يكن في ذلك مبتدعاً.. بل كان متبعاً لسنة رسول الله "ﷺ" ولخليفته أبو بكر الصديق ﷺ.

ما أعظم الحاكم حينما يرتفع إلى مستوى المسئولية فيكون مسئولاً عن كل فرد من أفراد المجتمع المترامى الأطراف.. وما أعظم الرعية حينما يتأخر حقهم فيسعون إلى الحاكم ويطالبون بحقهم، إنها الدولة الإسلامية التي كفلت لكل أفرادها حقهم في العيش.

مطفئ نار الفرس!

لقد كان سعد بن أبي وقاص من السابقين إلى الإسلام، فقد أسلم وهو ابن سبعة عشر عاماً، وكان أبر الناس بأمه، فلما علمت بإسلامه حاولت جاهدة أن ترده عن عزمه، فلما لم تستطع رده عن دينه، هددته بالامتناع عن الطعام والشراب حتى الموت، فيعيره الناس بذلك.. وأنفذت الأم تهديدها وأقعدها الجهد، وجاءه بعض أهله يطلبون منه الحضور لرؤية أمه قبل أن تموت، وهم في الحقيقة يريدون أن يرق قلبه لأمه ويغلبه طبيعة البشر ويترك هذا الدين من أجل أمه، وجاءها سعد فوجدها تكاد تلفظ أنفاسها، قال لها:

يا أم والله لقد علم الناس أني أبر الناس بأمي، يا أم والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت هذا الشيء، فكلي إن شئت أو لا تأكلي، فلما رأت تصميمه وثباته على دينه أكلت وشربت.

نزل جبريل على الرسول "ﷺ" في هذه المناسبة بقول الله عز وجل: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك علم فلاتطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون﴾ .

من هنا نجد أن إيمان سعد بن أبي وقاص كان فوق كل تصور وفوق كل عاطفة، ويكفيه شرفاً أن الله أنزل في موقفه هذا قرآنا يُتلى إلى أن تقوم الساعة.

لسعد بن أبي وقاص موقف آخر يدل على شخصيته البطولية وجهاده في سبيل الله، عندما تولى عمر بن الخطاب الخلافة ينتهز الفرس الفرصة ويستردوا بعض ما فتحه المسلمون في عهد أبي بكر الصديق، ويهتم عمر بن الخطاب بالأمر وينشغل به، ويقرر أن يجهز جيشاً يقوده بنفسه لتأديب الفرس، واستعادة ما سلبوه من أرض المسلمين، ويهم عمر بالخروج، ويدركه عبد الرحمن بن عوف في نفر من الصحابة ليثنوه عن عزمه قائلين: يا أمير المؤمنين لا تصيبنا فيك، ولا تصب المسلمين وأمر رجلاً آخر يقوم عنك بهذا الأمر، ويقول عمر: أشيروا علي أيها الناس، من لهذا الأمر الخطير؟ ومن يحمل هذه المسئولية وقد جمع الفرس جموعاً تفوق الحصر تحت قيادة السفاح رستم؟

يفكر الحاضرون ثم يهتف عبد الرحمن بن عوف: لقد وجدته يا أمير المؤمنين، فقال عمر: من هو؟ قال: من إذا رمى عدواً بسهم أصابه، وإذا دعا الله بدعاء أجابه، سعد بن أبي وقاص إمارة الجيش، ويخرج لملاقاة جيوش الفرس، ويرسل إليه عمر بن الخطاب رسالة يقول فيها: يا سعد لا يغرنك من الله أن قيل عنك: خال رسوال الله "صلى الله عليه وسلم" فإن الله ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب

إلا بطاعته، والناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عند الله بالطاعة.. يا سعد انظر الأمر الذي رأيت عليه رسول الله "ﷺ" منذ بعث إلى أن فارقنا عليه، فالزمه فإنه الأمر.. يا سعد، اكتب إلي بأحوالكم وأين عدوكم منكم، وأين تقفون منه؟ واكتب إلي وكأني أنظر إليك، واجعلني بكتبك إلي كأني معكم.

ينفذ سعد وصية عمر ويكتب إليه كل يوم شارحاً له الموقف، طالباً مشورته ورأيه، ويلتقى الجيشان جيش المسلمين وجيش الفرس يتقدم سعد الصفوف ملوحاً بسيفه هاتفاً في جنوده: هلم يا أصحاب محمد.. هلم إلى الجنة ويكبر أربع تكبيرات وينتصر جيش المسلمين في موقفة الجسر، ويتابع سعد تقدمه حتى نهاوند فينتصر فيها بفضل الله ثم يتابع فلول الفرس ويعبر نهر دجلة وهو يهتف قائلاً: حسبنا الله ونعم الوكيل ويردد الجيش هتافه، ويصل سعد إلى المدائن كبرى مدن الفرس وتنتهي دولة الفرس إلى الأبد، ويرسل سعد بكنوز كبرى وإيوانه، وسوار ملكة إلى عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة.

سلاماً عليك يا فاتح المدائن، ومطفئ النار المعبودة في بلاد فارس.

هول العذاب أهون من الكفر

لقد كان لبلال بن رباح موقفاً خالداً ليس للإسلام وحده، ولكنه موقفاً سامياً للإنسانية جمعاء، لقد صمد لأقسى ألوان التعذيب صمود الأبرار العظام لقد جعله الله عز وجل مثلاً أعلى للبشرية في الصبر وشدة الاحتمال على الأذى.

لقد كان بلال عبداً لأمية بن خلف أحد صناديد قريش ورأس من رءوس الكفر بمكة، وعندما علم أمية بن خلف بإسلام بلال وإيمانه برب محمد، قال: لابد أن أجعل بلال عبرة حتى لا يحذوا العبيد والإماء حذوة، فكان يطرحه في الشمس على الحصى الملتهب ويضع الرحى الكبيرة على ظهره تارة وعلى صدره تارة أخرى حتى تصهره الشمس، ويكاد الظمأ يقتله، ويقول له أكفر برب محمد أخفف عنك ما بك من عذاب فيهتف بلال من أعماقه أحد أحد، فيشتد سيده في عذابه ويشتد بلال في عناده، ويربطه سيده من عنقه بحبل، ويعطيه للغلمان يلعبون به في شعاب مكة ويقذفونه بالحجارة حتى إذا ملوا تركوه في الشمس موثق اليدين والقدمين، ويتكرر هذا العذاب الوحشي كل يوم حتى رقت لبلال من هول عذابه بعض قلوب جلاديه، فرضوا آخر الأمر أن يخلو سبيله على أن يذكر آلهتهم بخير، ولو بكلمة واحدة لا غير تحفظ لهم كبرياءهم.

ولا تتحدث قريش أنهم انهزموا صاغرين أمام صمود عبدهم وإصراره، ولكن حتى هذه الكلمة الواحدة التي يستطيع أن يلقيها من وراء قلبه، ويشتري بها حياته ونفسه دون أن يفقد إيمانه، حتى هذه الكلمة الواحدة العابرة رفض بلال أن يقولها وأخذ يردد أنشودته الخالدة أَحدُ أَحدُ أَحدُ أَحد.

ما أعظمك أيها العبد الحبشي، الذي أعلى الله ذكرك في الخالدين، فأصبحت تعرفك كل الأجيال على مر الزمان لتردد موقف إسلامك بكل الفخر والكبرياء والعظمة، لقد تحمل بلال من العذاب ما لا تتحمله الجبال، فيشفق الرسول "ﷺ" على بلال من هذا العذاب، فيقول لأبي بكر الصديق: لو كان عندنا مال لاشترينا بلالاً واعتقناه ويفهم أبو بكر إلى إشارة الرسول "ﷺ"، ويذهب أبو بكر إلى أمية بن خلف يعرض عليه شراء بلال، فيبيعه له بخمس أواق من فضة، ويقول له أمية بن خلف: والله لو لم تعرض إلا أوقية واحدة لبعته لك، ويرد عليه أبو بكر قائلاً: والله لو أبيت إلا مائة لاشتريته منك.. واشتراه أبو بكر وأعتقه لوجه الله الكريم، رحم الله أبو بكر الصديق فهو سيدنا وأعتق سيدنا، وخلد الله ذكرك يا بلال في العالمين.

ورع وتحدي

يقول عبد الله بن مسعود: كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فجاء النبي "ﷺ" وأبو بكر، فقالا: يا غلام هل عندك من لبن تسقينا؟.. فقلت : إني مؤتمن ولست ساقيكما، فقال النبي "ﷺ": هل عندك من شاة حائل لم ينزل عليها الفحل؟ قلت: نعم فأتيتهما بها فأعتقلها النبي ومسح الضرع ودعا ربه فحفل الضرع، ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقعرة، فاحتلب فيها فشرب أبو بكر ثم شربت، ثم شرب، ثم قال للضرع:

اقلص فقلص، فأتيت النبي "ﷺ" بعد ذلك، فقلت :علمني من هذا القول، فقال: إنك غلام معلم.. وما إن رأى ابن مسعود هذا الموقف الذي هز وجدانه حتى أصبح سادس ستة أسلموا واتبعوا الرسول "ﷺ"، وتمر الأيام ويجتمع أصحاب النبي "ﷺ" يوماً فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهرلها به قط فمن رجل يسمعهم؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، فقالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه، فقال دعوني فإن الله سيمنعني، فغدا حتى أتى مقام إبراهيم وكان ذلك في الضحى، وقريش في أنديتها حول البيت فقرأ رافعاً صوته: بسم الله الرحمن الرحيم – الرحمن علم القرآن وأخذ يتلو سورة الرحمن، فأخذ الناس

يقولون: ما يقول بن مسعود، ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا فجعلوا يضربون في وجهه وجعل هو يقرأ، ثم عاد إلى أصحابه وقد تأثر وجهه من كثرة الضرب، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله قط أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غداً؟

قالوا: حسبك لقد أسمعتهم ما يكرهون.

وكان عبد الله بن مسعود يخدم النبي "ﷺ" فأمره يوماً فصعد على شجرة يأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى ساقه فضحكوا من حموشة "دقة" ساقيه، فقال النبي - ﷺ - ما تضحكون.. لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحد.

وقد قال فيه بعض الناس يوماً وهم جلوس عند علي بن أبي طالب: ما رأينا رجلاً أحسن خلقاً، ولا أرق تعليماً ولا أحسن مجالسة، ولا أشد ورعاً من ابن مسعود.. فقال علي بن أبي طالب: أنشدكم الله.. أهو الصدق من قلوبكم؟ قالوا نعم، قال : اللهم أشهد أني أقول مثل ما قالوا وأفضل من قرأ القرآن وأحل حلاله، وحرم حرامه، فقيه في الدين، عالم بالسنة.

سلام عليك يا ابن مسعود في العالمين بكل حرف قرأته من القرآن وكل حديث حفظته عن سيد الخلق.

يقبل رأس القيصر لفك أسرى المسلمين!

في السنة التاسعة عشرة للهجرة بعث عمر بن الخطاب جيشاً لحرب الروم، فيه عبد الله بن حذافة السهمي وكان قيصر عظيم الروم قد بلغته أخبار جند المسلمين وما يتصفون به من صدق الإيمان ورسوخ العقيدة، واسترخاص النفس في سبيل الله، فأمر رجاله إذا ظفروا بأسير من أسرى المسلمين أن يبقوا عليه وأن يأتوه به حياً.. وشاء الله أن يقع عبد الله بن حذافة السهمي أسيراً في أيدي الروم فحملوه إلى قيصر عظيم الروم وقالوا:

إن هذا من أصحاب محمد السابقين إلى دينه قد وقع أسيراً في أيدينا، فنظر ملك الروم إلى عبد الله بن حذافة طويلاً، ثم بادره قائلاً: إني أعرض عليك أن تتنصر فإن فعلت خليت سبيلك وأكرمت مثواك، فقال الأسير في أنفة وحزم: هيهات إن الموت لأحب إلى ألف مرة مما تدعوني إليه.. فقال قيصر الروم: إني لأراك رجلاً شهماً.. فإن أجبتني إلى ما أعرضه عليك أشركتك في أمري وقاسمتك سلطاني، فبتسم الأسير المكبل المقيد بقيوده تبسم معجباً كيف يترك الحق؟ كيف يتخلى عن إيمانه؟ وقال: والله لو أعطيتني

جميع ما تملك على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلت ذلك.

قال: إذا اقتلك، قال عبد الله: أنت وما تريد، ثم أمر به فصلب وقال لقناصته: أرموه قريباً من يده وهو يعرض عليه التنصير فأبى.

فقال ملك الروم: أرموه قريباً من رجليه وهو يعرض عليه مفارقة دينه فأبى في كبرياء وعزة نفس، عند ذلك أمرهم أن يكفوا عنه وطلب إليهم أن ينزلوه عن خشبة الصلب ثم دعا بقدر كبير فصب فيه الزيت ورفع على الناء حتى غلى القدر المملوء بالزيت، ثم دعا بأسيرين من أسرى المسلمين فأمر بأحدهما أن يلقى فيها فألقى، فإذا لحمه يتفتت وإذا عظامه تبدو عارية.. ثم التفت إلى عبد الله بن حذافة ودعاه إلى النصرانية فكان أشد إباءً لها من قبل.. فلما يئس منه، أمر به أن يلقى في القدر فلما ذهب به دمعت عينها فقال رجال قيصر لملكهم إنه قد بكى فظن أنه جزع وقال ردوه إليَّ فلما وقف بين يديه عرض عليه النصرانية فأباها، فقال ويحك فما الذي أبكاك إذن؟!.

قال: أبكاني أني قلت في نفسي تلقى الآن في هذا القدر، فتذهب نفسك وقد كنت أشتهي أن يكون لي بعدد ما في جسدي من شعر أنفس، فتلقى كلها في هذا القدر في سبيل الله.

فقال الطاغية ملك الروم: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ لقد يأس ملك الروم أن ينال من دين عبد الله بن حذافة فلم يجد سوى أن يطلب منه أن بقبل رأسه، فقال عبد الله: قلت لملك الروم أقبل رأسك وتخلى عني وعن أسرى المسلمين أيضاً، فوافق قيصر الروم، وقال عبد الله: قلت في نفسي: عدو من أعداء الله أقبل رأسه فيخلي عني وعن أسرى المسلمين لا ضرر في ذلك ثم دنا منه وقبل رأسه فأمر ملك الروم بفك أسر عبد الله وأسرى المسلمين.

بعد ذلك قدم عبد الله بن حذافة السهمي على عمر بن الخطاب ﷺ، وقص عليه ما حدث له وأخبره أنه قبل رأس قيصر الروم، فسر عمر بن الخطاب من موقف عبد الله ولما نظر إلى الأسرى قال حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ بذلك، ثم قام وقبل رأس عبد الله بن حذافة السهمي، نجد في هذا الموقف العظيم الذي يشع بنور الإيمان أن قيصر الروم عرض النصرانية على عبد الله تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب والتعذيب، ولكن كل هذا لا يفيد مع رجل من أصحاب الرسول "ﷺ" ، ولكن عندما عرض عليه أن يقبل رأسه ويخلى عنه وعن أسرى المسلمين فواقف لأن الخسارة هنا لاتذكر وليست في الدين، والمكسب كبير وهو فك أسر عدد من المسلمين، وموقف عمر بن الخطاب قمة في المسئولية والأخلاق السامية، فيبادر بتقبيل رأس عبد الله بن حذافة إنها قمة الأخلاق الحميدة.

الفــهرس